مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 16 العدد 02 بتاريخ 2020/06/15

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

فكرة المهدي المنتظر الفاطمي في الأدب الشعبي ببلاد المغرب الإسلامي قبل سنة 296هـ.

The Idea of Mahdi Fatimide In Poupular Literature In The Islamique Maghreb Before 296 A.H

مرزوقي أسماء [1] ، الأستاذ الدكتور نصر الدين بن داود [2]

[1] Merzougui Asmaa,[2] Professor Nasreddine Bendaoud

[1] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية

asma.merzougui@univ-tlmcen.dz

[1] Abou Baker Belkaid University, Laboratory Of Civilizationel And Intellectual Studies.

[2] جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية ،

Bend_nasr@yahoo.fr

[2] Abou Baker Belkaid University, Laboratory Of Civilizationel And Intellectual Studies.

تاريخ الارسال: 2020/03/22 تاريخ القبول: 2020/04/28

ملخص:

فكرة المهدي المنتظر الفاطمي في الأدب الشعبي قبل سنة 296هـ ، هي محاولة لدراسة ما احتوته الذاكرة الشعبية من قصص وروايات وأشعار وغيرها عن قيام دولة المهدي الذي سيملأ الأرض عدلا ،إذ تكمن أهمية الدراسة في فاعلية هذا الأدب الشعبي ومساهمته في التمكين والإنتشار للفكرة في الأوساط الشعبية ببلاد المغرب الإسلامي قبل سنة 296هـ.

الكلمات المفتاحية: المهدي المنتظر، الفاطمي، الأدب الشعبي، المغرب الإسلامي

Abstract:

The ides of the fatimide mahdi in the popular literature before the year 269ah it is an attempt to study what the popular contained from stories and novels and poems .on the establishment of the state of the mahdi

[1] المؤلف المرسل: مرزوقي أسماء ، asma.merzougui@univ-tlmcen.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

.as the importance of the study lies in the effectiveness of this popular literature

As the importance of the study lies in the effectiveness of this popular literature and its contribution to empowering and spreading the idea in the popular circles in the countries of the Islamic Maghreb before the year 296 AH

Keywords:

. The Mahdi, the Fatimid , the popular literature , the Islamic Maghreb

مقدمة :

مثلت بلاد المغرب الإسلامي في بدايات انتشار الإسلام الأولى ، صدى للمشرق الإسلامي ، مثل ذلك ما تعلق بالمذاهب والأفكار ،فقد تسربت إلى المنطقة في فترات مختلفة ، مجموعة من الفرق والمذاهب نظرا لعدة اعتبارات سياسية واجتماعية ، فمنهم من نجح ومنهم من حاول وأخفق .

و في هذه الدراسة حاولنا إ لقاء الضوء على أحد أهم حلقات التاريخ المذهبي لتاريخ المغرب الإسلامي ، خاصة ما يتعلق بالقرون الأولى للهجرة بعد الفتح ، إذ يرتبط موضوعها ارتباطا وثيقا بتسرب فكرة المهدي المنّتظر أو ما يعرف بالفكرة المهدوية ببلاد المغرب، شكل المجال المغربي بعناصره البشرية وأرضه مجالا ودورا رئيسيا في نشوء وتبلور كيان سياسي مهم يتمثل في قيام الدولة الفاطمية ذات النحلة الشّيعية الإسماعيلية ،التي اتخذت من فكرة المهدي شعارا لدعوتها .

وقد اخترت جزئية من ذلك بغية الدراسة وهي المهدي المنتظر الفاطمي في الأدب الشعبي ببلاد المغرب قبل 296هـ، كمحاولة لمعالجة ما احتوته الذاكرة الشعبية من روايات وقصص وأشعار حول قيام دولة المهدي بإفريقية قبل 296هـ ،فتكمن أهميتها في اعتبارها إحدى العوامل المساهمة في تبني العامة لها وتحمسهم لدولة المهدي الذي سيملأ الدنيا عدلا وإنصافا ، وهي فكرة عرف انتشارها زمن سيادة الظّلم والجور فيتعلق بها من يريد الخلاص وانتشار العدل ، شكلت بذلك أرض المغرب الإسلامي الملاذ لمشروع سياسي ومذهبي تقيد بفكرة ، وعمل على استغلال الظرفية المناسبة لبروزها، فما هي الفكرة ؟ وماهي الظروف التي انتقلت فيها الفكرة من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه؟ وفيما تمثلت هاته القصص والروايات ؟ وكيف ساهم الشعراء والمنجمون في تفشي فكرة المهدي ؟

وقد اخترنا معالجة هذا الموضوع لأهمية الأدب بمختلف فصوله في جعله منهلا للحقيقة التاريخية ، معتمدين على منهج تاريخي سردي استقرائي.

أولا :الحركة الإسماعيلية بالمشرق الإسلامي :

ظهرت الحركة الإسماعيلية في بلاد المشرق الإسلامي ،وامتدت إلى أقاليم عديدة من العالم ، وفق سياسة منهجية ،تعددت أشكالها وأسمائها ،وصورها ، ساعدت في نشأتها عوامل عديدة منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي ،لتتحول من فرقة فتية منشقة إلى حركة ثورية تتوجت بقيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي.

1_ ظروف ظهور الحركة الإسماعيلية بالمشرق الإسلامي :

عرفت بلاد المشرق الإسلامي في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة أشد خلاف مزق جسد الأمة الإسلامية ، وهو مسألة الخلافة ، التي اشتد حولها الخلاف وكثر معها الصراع ،تكونت نتيجته مجموعة معتبرة من الفرق الإسلامية (أحمد ، 1969م، صفحة : 252) ميزها الصراع فيما بينها ،وبلغ مداه مع اعتلاء الأمويّين سدة الحكم وتوليهم قيادة العالم الإسلامي (صديقي ، 2012م، صفحة :131) تطور حينها نشاط المعارضة في جو مشحون ، بالغا حدته مع تولي بني العباس سنة 132هـ للحكم (أنظر تعليق رقم 1) لتبرز قوى المعارضة الشّيعة العلوية (أنظر التعليق رقم2) مطالبة بأحقيتها في الحكم ، نظير ما طالهم من الأمويين بعد أن دفعوا أغلى الأثمان من أرواحهم وأرواح أئمتهم وبالتالي هم أحق بالخلافة من غيرهم (الدشراوي ، 1994م، صفحة :220).

لتبرز القوى الشيعية العلوية هنا مطالبة بأحقيتها في خلافة المسلمين بعد أن حصروها في علي ابن أبي طالب (أنظر التعليق رقم3)وذريته خاصة، غير أن محاولاتهم المتوالية في سبيل تحقيق مطلبهم بالأحقية في الخلافة بائت بالفشل ، لتأخذ ردة فعلهم منحى آخر على شكل ثورات متكررة للمطالبة بالحكم (جولد ، 1983م، صفحة :195،196).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الخلافة عند الشّيعة لا تتعلق كما هو الحال عند السّنة بزعيم دنيوي ، وإنما" بإمام هادي مهتدي بالحق الإلهي يسيّر شؤون الأمة ويجمع سلطتها الدينية والدنّيوية " (بل ، 1987م، صفحة :156)قائمة في أسرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي أعقابه لا غيرهم من حيث المشروعية ،والإمامة في نظرهم هي حق وراثي لعلي وأهل بيته بالنص والتعيين ، وهي ركن أساسي من الدين

وليست مصلحة من مصالح العامة ،التي تفرض الأمة النظر فيها ،ويعتبرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ،عين علي رضي الله عنه بنصوص ثابتة يتناقلونها ويؤولونها وفق مذهبهم (الشهرستاني ، 1993م، صفحة 169).

غير أن سنة **148**هـ وهي سنة وفاة الإمام جعّفر الصادق(أنظر تعليق4)، تطور مفهوم الإمامة من مطلب سياسي إلى عقيدة دينية أولت لها كل الإهتمام فرقة الإسماعيلية (صديقي ، 2012م، صفحة 148:)المنسوبة لإسماعيل ابن جعفر الصادق ،حيث كان إسماعيل أكبر الإخوة وكان الشيعة يظنون أنه القائم بعد أبيه والخليفة بعده غير أن وفاته حالت دون ذلك (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة : 63).

قائلين حسب روايتهم إن محمد بن إسماعيل بقي متسترا طوال حياته ،منتقلا من بلدة إلى بلدة متخفيا من سلطان بني العباس ، وعليه لقب بمحمد المكتوم وكان المجاهر بدعوته والقائم بأموره والمتكلم باسمه ميمون القداح، وابنه عبد الله ابن ميّمون القداح ،وتوفي سنة 193هـ بعد أن خلف ولدا هو إمام للقوم وعليه دخلت دعوتهم الإسماعيلية في دور الستر (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:86) لتظهر الدعوة باسمه لآل البيت.

2_ فرقة الإسماعيلية وفكرة المهدوية بالمشرق الإسلامي :

في هذا الظرف المشحون بالتوترات السياسية العقائدية لاسيما في بيئة جغرافية ظل الموروث القديم يواصل الحياة في بنية المعتقدات الدينية وتنامي التأثيرات الفارسية والمسيحية تباعا (مرسيا ، 1986م، صفحة 173:) ظهر بها الناقمون على الإسلام والحاقدون على الأمة الإسلامية والمغيرين لدين الله ،المبدلين للشريعة لم ييأسوا ولم يقنطوا ، مستغلين الوضع السياسي المشحون وانتقال الحكم إلى بني العباس وعدم وضوح الإتجاه السياسي ، فاشتغل المتشيعون للبيت العلوي ببث سموم الفتنة والفساد ،ونشّر الأفكار الإلحادية وترويجها باسم الدين (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة :37،38)مستغلين أيضا فترة دخول مختلف العلوم إلى العالم الإسلامي وانفتاحه في إطار حركة التدوين وألفوا في الإمامة عديد المؤلفات مستغلين حركة الترجمة (الجابري ع.، 2000م، صفحة :67) من دخول عديد المؤلفات في شتى العلوم وتحوير الروايات وفق ما يخدم مصالحهم في المطالبة بالإمامة مما لا يعطي مجال لرفضها فانكبوا دارسين كتب اليهود والنصارى وفسروها بأساليب إسماعيلية ومن بين من تولى مهمة التأليف الفيلسوف الفاطمي الكبير حميد الدين الكرماني ت 408هـ مستفيدا من التوراة والإنجيل بعد نهله منها احتياجاته (برناند ، 1980م، صفحة :154).

إضافة أنهم ربطوا بين ما هو سياس متعلق بالإمامة من جهة ،ووظفوا ما هو فكري من جهة أخرى ، وهو ما جاء في قولهم ": أن الأرض لا يجوز أن تخلو من إمام فهو إن لم يكن حاضر يتولى القيادة الروحية في قلوب أتباعه وغيبته مؤقتة طال الزمن أو قصر وذلك لأنه لابد من يوم يعود فيه ليجعل حدا ونهاية للجور والظلم " (الجابري ع.، 2000م، صفحة :337).

وتتضح هنا معالم نظرتهم في الإمام ،فهو إما حاضرا أو مستور سيأتي يوم ويحل في الأرض ناشرا العدل والسلام ، وهي فكرة الإنتظار ، سيقت من فرقة الإمامة الاثنا عشرية (أنظر التعليق رقم 5) بعد أن انتشرت أبيات لصاحبها الفهري (ينظر تعليق رقم :6)جاء بها:

ألا ياشّيعة الحق ذوي الإيمان والبر
أتتكم نصرة الله على التخويف والزجر
فلا تدعوا إلى الداعيين أهل النكث والغدر
فلو فقد العاشر أو زيد عن العشر
لدارت عصب الصبر على الدائر بالشر
فعند الست والتسعين قطع القول والعذر (محمد ، 1979م، صفحة :29،30)

وهنا رأى أبو القاسم (انظر التعليق رقم 7)الّذي سيصبح من كبار الدعاة الإسماعيلية أن الوقت اقترب بما قاله الفهري وجالت خواطره في ذلك، وفيما يكمن أن تحققه الفكرة ،خاصة وأن السنة التي قال بها الفهري اقتربت ،واقترب ظهور المهدي (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة :614)وفي سبيل تطبيق الرؤى السياسية ، كانت فكرة المهدوية أداة مناسبة لذلك ، ظهر الدعاة لها ، في البداية كخطباء ومتكلمين (الجابري ع.، 2000م، صفحة :64)كون الكتابة لم تكن منتشرة ولا وسائلها المادية ، فكانت الخطابة وسيلتهم الأولى لنشر الدعوة أو المذهب ، فالخطابة والإرسال الجيد والعناية بالفظ وتراكيب الكلام من شأنها أن تحدث الفرق.

ليدعم الدعوة بشكل كبير انضمام شخصية ابن حوشب ،الذي كان من الاثنا عشرية(ينظر تعليق رقم:8) ،أصحاب محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر الذي غاب واختفى سنة 266هـ، ليتحول إلى الإسماعيلية (القصير ، دون سنة ، صفحة ص:38)واضعا جهوده وإخلاصه في خدمة تحوله الجديد بكل خبرته وذكائه وهو ما يظهر في مرحلة لاحقة من تطور الحركة الإسماعيلية.

هذه الفكرة وفي سبيل نشرها ،كانت تحتاج دون شك إلى مقومات تستند عليها فوضعت لها دعائم فلسفية في شكل كتب ومنشورات سرية دعائية في فترة كانت فيها الإمام مستور والدعوة له سرية ، وأول من نظر لهذه الدعوة في مرحلتها المبكرة أبو الخطاب(ينظر تعليق رقم 9) وميمون القداح(ينظر تعليق رقم 10)وذلك إسنادا إلى كتاب سري هام جاء فيه «إن المذهب الإسماعيلي هو ما أوجده ذرية أبي الخطاب بتفديتهم أنفسهم على أبناء جعفر الصادق وإسماعيل لكي يبقى مذهبهم و يدوم " (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:45) ومعهما طائفة يصفهم الغزالي قائلا :" "تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين نقل عنهم قولهم :"نتحصن بالإنتساب إليهم والإعتزاز إلى أهل البيت عن شرهم ونتودد إليهم بما يلائم طبعهم...ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذّل الهائل ونتباكى لهم على ماحل بآل محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى إذّ قبحنا أحوالهم من حولهم واستدّرجناهم إلى الإنخلاع عن الدين وإنّ بقي عندهم معتصم من ظواهر القرآن ومتواتر الأخبار وأوهمنا عندهم أنّ تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وقالوا إن طريقنا نختار رجلا ممن يساعدنا على المذهب ونزعم أنه من أهل البيت وأنه خليفة رسول الله (الغزالي ، دون سنة، صفحة ص:19)".

فروا هاته الروايات ومثيلاتها لإثبات أن مهديهم هو الّذي بشّر به الرسول عليه الصلاة والسلام بظهوره وغلبته على البلاد وتسلطه على العباد ،وذكرهم للبيت العلوي لم يكن إلا غطاء لكسب عواطف الناس لنجاح الدعوة للمهدي وأيضا إخمادا للثورات التي تقوم هنا وهناك ولإقناع الشعوب المسلمة بأن الإمامة والخلافة حق متوارث لهم لكونهم ذرية النبي وعلي (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:237،251).

مثلت اليمن(ينظر التعليق رقم : 11) نقطة ومركز الدعوة (ينظر التعليق رقم: 12)وإعداد الدعاة لتنفيذها البرنامج أو الخطة في صيغة منهجية ، أوكلت مهمة الدعوة للداعيين ، ابن حوشب وابن الفضل الجيشاني ، معتمدين على رصيد مكتوب، يسيران عليه ، وفق ما صرحا به "قال أنها وجدا بها كتب تتحدث عن تنبؤات بظهور المهدي قبل ظهوره (النعمان ، 2005م، صفحة :407) .

اتسمت هاته الكتب بالسرية فيما احتوته والتشديد أيضا على حاملها ، وهو ما جاء في أحد الكتب السرية "المبدأ والميعاد" العبارات الآتية :"صنه عن كل أحد إلا من ذكرته لك ،يصنك الله ،واحفظه يحفظك الله "وضرورة عدم النسخ منه للحد من انتشاره أو وقوف أي أحد عليه في عبارة "ألا تنسخ منه

حرفا ولا أقل ولا أكثر ، ولا وقف عليه إلا أنت أو من أذنت له أنت بالوقوف عليه" (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:269) وورد أيضا مثل ذلك في كتاب "مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية " حيث كتب على غلافه "لا يجوز الاطلاع عليها إلا بإذن من له العقد والحل " (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة :270) وهكذا كانت مناولة المعلومات في غاية السرية ، معتمدين على الثقات وأصحاب الدعوة الكبار وعدم النسّخ واعتماد خاصية الخفظ دون النسّخ وهو ما يفسر لنا لما بقيت المعلومات عن مرحلة الدعوة سرية إلى هذا الحد.

ولم يكن اختيار اليمن أو جزيرة اليمن كما يصطلح عليها في التنظيم الدعوي الإسماعيلي اعتباطا ، و إنما كونها مكان للمهاجرين من المسلمين الأوائل ومحل أهل الإيمان منذ أن شيدت قاعدة الإسلام إلى الآن ، إضافة إلى إنشار التشيع بها وبعدها عن مركز الخلافة ووعورة طرقها بالإضافة إلى اشتغال الخلافة العباسية في هذه الفترة بإخماد الثورات الداخلية (السيد ، 1977م، صفحة :41)وصفها أبو العلاء المعري قائلا": كان معدنا للمكتسبين بالتديّن والمحتالين على الحق بالتزيّن" (السيد ، 1977م، صفحة :39)أي اليمن .

ومن اليمن تم التنّظير للدعوة وإرسال الدعاة ليشمل المناطق البعيدة في مناطق مختلفة من العالم من بينها بلاد مصر واليمن وبلاد المغرب مشكلة كلها جزرا دعوية ،عاملين على ربط الدعوة بنظام الفلك ودورته ، فجعلوا العالم مثل السنة الزمنية، فالسنة مقسمة إلى اثنتي عشر شهر ، إذّن يجب أن يقسم العالم إلى اثنتي عشر قسما ، وأطلق على كل قسم جزيرة ، وجعل الإمام عميد الدعوة ، على كل جزيرة داعيا هو المسؤول عن الدعوة فيها وأطلق عليه لقب داعي دعاة الجزيرة أو الحجة (غالب، 1965م، صفحة :28).

إذنّ استغل الدعاة الأوائل رواج هذه النظرية المهدوية في أنحاء العالم الإسلامي ،متخذين ميل كثير من الناس إلى أهل البيت إضافة إلى اعتقادهم بفساد المجتمع الإسلامي ، فكانت هذه النظرية وسيلة لجلب الأتباع ، فاستغلها الدعاة بادعائهم أنهم يمهدون لعصر جديد هو عصر دولة الله وأن المنّقذ المنتظر على وشك الظهور ليخلصهم من ما هم فيه ،ونجح عبيد الله المهدي هو ودعاته في تحقيق خططهم كاملة ، وبها قوضوا حكم الدولة العباسية ، لتظهر الدولة الفاطمية (حسين إبراهيم حسن، دون سنة ، صفحة :274)وهو سبب نجاح التنظيم العسكري الذي توج سنة 296هـ وإعلان قيام الدولة العبيدية الفاطمية ، في بلاد المغرب الإسلامي ، بعد عدة مراحل تنظيمية هي كالآتي

ثانيا : تسرب الفكر المهدوي الإسماعيلي إلى بلاد المغرب الإسلامي :

لقد مهدت الأحوال والحوادث الماضية الطريق لنشوء الإسماعيلية ، وتعددت الأقوال في أصلها ومنشأها وأئمتها وحججها ، نشأت من خلال صراع سياسي ودعوة صابرة مريرة انتهت أخيرا إلى قيام عدد من الدول منها الدولة الفاطمية .

1_ مرحلة أبي سفيان والحلواني وأهم مظاهرها :

إذن برزت فرقة الإسماعيلية في النشاط والظهور كتنظيم ثوري يعتمد على الدعاة النشيطين الّذين انتشروا في أرجاء العالم الإسلامي داعيين إلى قرب ظهور الإمام المهدي من آل فاطمة (السيد ، 1977م، صفحة :40) مركزيين في أنشطتهم الدعوية على المناطق الريفية الأقل تحضرا والبعيدة عن مراكز الإدارة الحيوية (مجاني ، المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب، دون سنة ، صفحة :54) ليكونوا في مأمن من عيون الحكام ولأن طبيعة البلاد النائية ببساطة تفكيرها ، لا يجعل مجال للشك أو الريبة في مطالبهم وتصديقهم دون عناء.

ومن اليمن تم التنظير للدعوة وإرسال الدعاة ليشمل المناطق البعيدة في مناطق مختلفة من العالم من بينها ،بلاد مصر واليمن وبلاد المغرب ،مشكلة كلها جزرا دعوية ،عاملين على ربط الدعوة بنظام الفلك ودورته ، فجعلوا العالم مثل السنة الزمنية، فالسنة مقسمة إلى اثنتي عشر شهر ، إذن يجب أن يقسم العالم إلى اثنتي عشر قسما ، وأطلق على كل قسم جزيرة ، وجعل الإمام عميد الدعوة ، على كل جزيرة داعيا هو المسؤول عن الدعوة فيها وأطلق عليه لقب داعي دعاة الجزيرة أو الحجة (غالب، 1965م، صفحة :28).

وبالتالي فبلاد المغرب شكلت هي الأخرى جزيرة للدعوة ، أسندت أمورها كمرحلة أولى إلى شخصيتين كما تناقلته المؤلفات وأشهر ما ورد فيها أن أول الدعاة هما الحلواني(انظر التعليق رقم13) وأبو سفيان (انظر التعليق رقم 14)ويعطينا القاضي النعمان معلومات محددة عن هذه البعثة ونشاطها إذ كان بين دخولهما المغرب ودخول صاحب البذر مائة وخمس وثلاثون سنة ،إذ كانت مهمتهما "الدعوة إلى الإمام الرضى من أل محمد ويبشران بقرب ظهوره ناعتين إياه أنه المهدي" (البيلي، 1993م، صفحة :62).

بعد أن أعطيت لهما توصيات دقيقة :""ينزل كل واحد منكما بعيدا عن الآخر ،وقولا لكل شيء باطن ، ونحن فقط قيل لنا ،إذهبا فا لمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر " (إلهي

الظهير ، 1987م، صفحة ص:96) ولعله أمر دارج في أسلوب الدعوة الإسماعيلية ، نلاحظه في دعوة أبي الفضل وابن حوشب أين كانت بدايتهما بنفس الشكل وأمرا بالتفرق لنشر الدعوة .

فاستقر أبو سفيان بتالة(انظر التعليق رقم 15) تزوج واشترى أمة وعبدا يعمل بمساعدته وكذلك ليكون له عينا على المنطقة ،إضافة إلى زوجته التي كانت مختصة لمعرفة شؤون النسوة بالمنطقة (لقبال، 1979م، صفحة :217)مكرسا وقته للدعوة عن طريق التعليم ،فقصده الكثير من سكان الناحية إلى مسجده ينهلون منه أو باحثين عنه في موضع خلوته ،إذ كان يروي أحاديث حول مزايا أهل البيت (النعمان ، 2005م، صفحة :23) إلى أن غدت بسببه مر ماجنة والإربس ونفطة (ينظر التعليق رقم :16)دار شّيعية بسببه (النعمان ، 2005م، صفحة :23) وخير دليل على ذلك إشارة البكري واصفا سكان نفطة ،في عصر الجغرافي محمد بن يوسف الوراق أنهم كانوا شّيعة وهو ما ينم على أن الدعوة أبي سفيان ونفوذه الروحي انّتشر حتى في أقصى جنوب البلاد (لقبال، 1979م، صفحة :218).

أما الداعية الثاني، وهو الحلواني فقد توغل في أرض البربر بعيدا عن مر ماجنة وعن مجالها حتى أصبح على هامش أرض كتامة ،ونزل هناك موضعا سمي الناظور بقرب سو فجمار (لقبال، 1979م، صفحة :220) حيث استقر هو الآخر واشتغل بالتعليم (لقبال، 1979م، صفحة :220) وتشيع على يده عالم كثير من تلك الناحية وكان يصرح لهم قائلا "أن داعي المهدي سيأتي" (النعمان ، 2005م، صفحة :87) في حين أن هناك من قال أن الداعيتان لم يقوموا بالدعوة بالمعنى المقصود في الإصلاح الإسماعيلي، وإنما قاما بشي مختلف وأبسط من ذلك إذّ أرسلهما بعد أن أوصاهما بتمهيد الأرض لصاحب البذر ، وهو ما يبدوا أنهما نجحا فيه وتذليل الصعوبات وشق طريق ممهد للدعوة الإسماعيلية في إفريقية والمغرب الأوسط (عاشور، 1977م، صفحة :78،79).

غير أن تأكيد دعوتها للمهدي يظهر جليا في نص القاضي النعمان ،في كتابه افتتاح الدعوة عند حديثه عن امرأة يوسف المعروف بالأصم الأجاني والذي كان من أصحاب الحلواني وأوصى زوجته وهو شيخ بأن أدبها وعلمها التشّيع والولاية(ينظر تعليق رقم 17) وأوصاها قائلا " إنّ هذا المال كنت أعددته لما كنا نسمعه من الحلواني عن أمر المهدي وأنّه يطأ بلدنا هذا وكنت أعددت هذا المال للنفقة في الجهاد بين يديه أو بين داعييه (النعمان ، 2005م، صفحة :87) وهي إشّارة واضحة وصريحة إلى طبيعة المهمة الموكلة

لهما .ومن نتائج دعوتها وجود رصيد شيعي يحتاج من يحوله لقوى سياسية وهو ما سيقوم به الداعية ابو عبد الله الشّيعي.

2_ مرحلة أبوعبد الله الشّيعي و ترسيم فكرة المهدوية :

مع حلول سنة 280هـ وصل صاحب البذر ،بعد وفاة الداعيتان الحلواني وأبو سفيان ،واستنادا على رواية النعمان ،وصل الداعي أبو عبد الله الشّيعي (ينظر التعليق رقم 18) إلى أرض كتامة وتحديدا إيكجان(ينظر التعليق رقم :19) وفق خطة مرسومة من قبل كبار الدعاة بالمشرق الإسلامي، إذ لم يكن نزوله بالمنطقة وليد الصدفة ،وربما يعود للرصيد الشّيعي بها ، الناتج عن دعوة الحلواني ، وأيضا إلى خصوصية المنطقة الجبلية وبعدها عن مراكز الإدارة الحيوية .

فنزل المكان المذكور ، والتقى بشخصيات من المنطقة ،كانت قد تشّيعت وهي أبو المفّتش وأبو القاسم الورفجومي وأبو عبد الله الأندلسيّ ، والدليل على أنهم شّيعة ما قاله تلك الليلة عندما سأله أبو المفتش قائلا :"والله لا أظنك صاحب البذّر الّذي ذكره الحلواني" (القرشي ، 1985م، صفحة :86) باشر بعدها عمل في استمالتهم، بداية بالإشارة إلى فضلهم قائلا ":والله ما سمي هذا الفج إلا بكم ولقد جاء في الأخبار أن المهدي بالله تكون له هجرة تنبو فيها عن الأوطان ،في زمان محنة وإفتان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان " (القرشي ، 1985م، صفحة :88) وهي ليست بالمعجزة ولا خوارق العادات فالداعية كان مزود بكل التفاصيل التي من شأنها مساعدته فمهمة الحرث قد تمت على يد سابقيه كما أشرنا.

باشر هو الآخر ،كسابقيه ،عمله بالتدريس، اقتصرت العملية على أبناء الشيوخ القبائل بداية دون سواهم، طارحا فكره بأسلوب بسيط ، فحواه حق آل البيت في الإمامة ثّم بفكرة المهدي وقرب ظّهوره وشروط طاعته المطلقة وغايته جمع الولاء البربري حول فكرتهم المحورية ،ولم يحاولوا ا نشّر أراء الإسماعيلية في مستوياتها الباطنية في نفس المحيط البربّري ،وذلّك لطبيعة المجتمع الّذي لا يستطيع استيعاب أفكاره الباطنية المعقدة إلا إذ تبلورت في شعارات تحرك العواطف (رافعي ، 2003.2002م، صفحة :346) وهو أسلوب ذكي مدروس بعناية من كبار المنظرين للدعوة دون شك.

جاءت دروسهم دون منهاج قائم وواضح في التدريس وإنما أعتمد منهاج البناء والهدم وذلك عن طريق زرع الشك بتوجيه أسئلة عقلانية حول بعض المسلمات عن طريق التلقيين ، وكان يحدثهم بظاهر علم الإمام علي كرم الله وجهه، وإذا رأى الواحد منهم قد لقن عنه ،وأحسن فيه ما يريده ، ألقى إليه شيئا

فشيئا حتى يأخذ عليه ، أي منهاجه هنا هو الذكر والتعلم (سامعي ، 2012م، صفحة :68) ونجد من النصوص الإسماعيلية التي تزودنا بمعلومات حول أشكال التلقين وصوره ، كتاب" العالم والغلام "والمنسوب إلى ابن حوّشب باليمن (دافتري ، 1999م، صفحة :100) مستخدمين أساليب تربوية ذكية في جلب المستجيبين ، وذّلك من خلال بث أسرار الدعوة عبر مراحل ، جاعلين إياها في درجات تسعة ، تعلم بالتدرج وعلى حساب استعداد المستجيب (بن حمادة ، 1986م، صفحة :179).

وأظهر هنا مفاجأة للتأثير على مشاعر القوم وتنمية إحساسهم الديني وإشعارهم بالأمر العظّيم لجلب النصرة قائلا " إن للمهدي هجرة تنبوا عن الأوطان في زمان محنة وإفتان ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان " (النعمان ، 2005م، صفحة :37).

خاصة عندما عرف أن قيامهم بثورات ليس ناجم عن اعتقاد ديني، وإنما نتيجة ظلم وتعسف وفرض ضرائب ، كلها ظروف عرف كيف يستغلها الشّيعي جاعلا إياهم يتسابقون إليه معتبرين إياه منّقذا وقائدا في طريق الحياة المعبد الصالح ويخرجهم من الفقر والحرمان (عارف ، 1991م، صفحة ص:215) وهو ما تجلى في فكرة المهدي المعبرة عن المشروع الإصلاحي الإجتماعي، خاصة نقمهم على الملوك والأمراء وعلى غطرستهم وانحرافهم على نهج العدالة ، أوضاع استغلها الشّيعي في كتامة البرّبرية وحبها للقتال ، مذكرا إياهم بما هم عليه من الحرمان والفقر بينما الحاكم يتمتع بخيرات الأرض ويعيش حياة البذخ (عارف ، 1991م، صفحة ص:216).

وهي اساليب موصى بها من طرف الدعاة المنظرين اذّ أوصوهم "الطعن في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العوام وأن الفرج منتظر من كل ذلك ببركة أهل البيت ورسول الله (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:627) كلها تصب في النظرية المهدوية ومشروع الإصلاح الإجتماعي .

لتأتي المرحلة الموالية وهي إعداد القوى الشّعبية للجهاد وتعبأته لخوض غمار الجهاد واعلان دعوة الحق حسب زعمهم.

ألحت الضرورة بإقامة دار هجرة (انظر تعليق رقم:20) تجمع الأتباع والأموال (مجاني ، الإسماعليون في بلاد المغرب العربي، 2014م) وذلك بعد أن شك الناس في دعوته وارتيابهم منه ، فخرجت أصوات تنادي بإخراجه من بني سكتان (ينظر تعليق رقم 21) (القرشي ، 1985م، صفحة :97) وكان الحل في دار الهجرة تكون ملجأ للداعي فيها الحرية المنشودة ، كما تحتوي على الإستقرار النسبي ، بغية نشر الدعوة

وإعداد استراتيجية محكمة للإنطلاق إلى عالم الجد بدل الترحال (مجاني ، الإسماعليون في بلاد المغرب العربي، 2014م، صفحة :111) تأتي هذه المرحلة بعد أن أعد مجتمعا متماسكنا ولائه للدعوة وللإمام وأسقط به الولاء القبلي ،وأيضا رحيله من منطقة إلى منطقة هو من التوصيات التي منحت له بأن لا يطيل الداعي إقامته ببلد واحد فإنه ربما اشتهر أمره وسفك دمه وينبغي أن يحتاط (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:627).

تولى أمر إخراجه من بني سكتان الحسن بن هارون الغشمي الساكن بتار زوت (ينظر التعليق رقم:22)، ووعده أن يدافع عنه بماله وأهله (القرشي ، 1985م، صفحة :98) وقد أمدته قبيلة غشمان بالمال والسلاح ،ففرقها على القبائل التي هاجرت معه من إيكجان وكذلك القبائل التي انتقلت إليه من مختلف بلاد كتامة وتولي توزيع الأموال والسلاح أبو عبد الله الأندلسيّ (مجاني ، الإسماعليون في بلاد المغرب العربي، 2014م، صفحة :165) وابتنى عبد الله الداعي الشّيعي له قصرا(انظر تعليق رقم :24) بتار زوت وسكنه، وابتنت الأولياء حوله الأشياع ،ويبدوا أن هذا القصر كان بمثابة دار الإمارة والتي منها يدير الداعي أبو عبد الله أموره العسكرية والمذهبية (لعرابة ، 2014،2005م، صفحة 80) وعليه وبينما تميز دور الإستتار بالإعداد المادي والمعنوي في قلعة إيكجان وفي حماية بني سكتان ،كان دور الظهور بقلعة تار زوت بالمواجهة الحقيقية (لقبال، 1979م، صفحة :242) قويت شوكته وتهيأت له الأنفس بشريا وماديا وانتقل إلى المرحلة المقبلة من المهمة بعد أن أسس ما كان يصبو إليه (مجاني ، الإسماعليون في بلاد المغرب العربي، 2014م، صفحة 156).

مستغلا بمهارة مختلف الظروف الإستراتيجية والسياسية والإجتماعية والإقتصادية بعد أن أسدل عليها في البداية صبغة دينية خالصة ، بتجنيد القوى الكتامة المتوهجة في الظرف والوقت لشّن الهجوم على الحصون الأغالبية (الدشراوي ، 1994م، صفحة :108،111).

إذن نستطيع القول أن دعوة أبي عبد الله الشّيعي كانت أكثر ترسيم لفكرة المهدوية ، فبوادرها ظاهرة في تفكيك النظّام القبلي وأصبح الولاء للإمام بدل شيوخ القبائل ، وأيضا في تنشأت القوة العسكرية سليلة فكرة المهدوية التي حمستهم للقتال والدفاع من أجل عهد جديد ،سيكون لها بالغ الأثر في بداية الدور للتخطيط للإنتقال ،إلى مرحلة الظهور بإعلان الخلافة الفاطمية، فلم تكن الدعوة المهدوية وحدها كفيلة بهذا النجاح وإنما غدتها عوامل أخرى ستسهل من الأمر الذي دعمي له الشّيعي أبو عبد الله وهي فيما يلي

3_ الظروف المساعدة على تقبل فكرة المهدي المنتظر :

في الفترة التي عمل الشّيعة الإسماعيلية على بث أفكارهم ودعواهم للإمام المهدي في بلاد المغرب، كان يتولى شؤون البلاد إبراهيم بن أحمد الأغلبي 261هـ_289هـ (المراكشي إ.، 1980م، صفحة :132،133) واليا على المنطقة معينا من قبل الخلافة العباسية (إبن الأثير ، 1987م، صفحة :49) هذا الأمير الأغلبي الّذي اختلفت الكتابات التاريخية حول شخصيته ،إذّ يذكره الرقيق القيرواني أنه كان ظلوما سفاكا للدماء وأنه أصابه آخر عمره ماليوخوليا(ينظر التعليق رقم 23) والتي أسرف بسببها في القتل (إبن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر في أخبار البربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 2000م، صفحة :260) فشخصية الحاكم هنا جعلته غير كفئ في تولي دفة الحكم وهو ما ساعد الجبهة الدعوية الإسماعيلية خاصة وأنها تبنت مشروع إصلاحي قوامه المهدي أت إذن التغيّر قادم .

إضافة إلى أن المنطقة في حالة من السوء ،في الفترة التي عمل فيها الشّيعة على نشر دعوتهم ،تلعب فيها النزوات والمؤامرات ،في وسط شعب متذمر مستاء من الوضع (إبن خلدون ، المقدمة، 2014م، صفحة :260) هذا بالنسبة للأحوال السياسية ، أما اجتماعيا فلم يكن الأمر بالجيد إذّ ما قورن بالوضع السياسي فزيادة على التذمر الشّعبي وتفاقم الأمر بظهور مجاعات كالتي حدثت سنة 261هـ بإفريقية ،زيادة على فترات متلاحقة لازمتها الأوبئة والغلاء والجباية والظّلم ،فتعلقت قلوب العامة هنا بزعيم يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (لواتي، 2015م، صفحة :131) فقد ترسخت الإقطاعات على امتداد حكم الأغالبة مما نتج عنها في الفترة الأخيرة من حكم إبراهيم ابن الأغلب(ينظر تعليق رقم:24) ثورات كثورة سنة 280هـ ،التي كانت بسبب سياسة الجباية (الطالبي ، 2014م، صفحة :315).

فهذه الثورات عمقت الهوة بين السلطة والعامة من أصحاب الأملاك زيادة على ذلك من مشاهد الظّلم إحدى السنوات سميت بسنة الجور وبالتالي العامة هي المتضررة من ارتفاع الأسعار ونزولها، في حين أن الخاصة محتمية بقصورها ومستأمنة بخزائنها ومطاميرها (لواتي، 2015م، صفحة :387) زيادة على سياسة الجور زادت المجاعات بين 260هـ 296هـ بسبب سياسة التبذير والإسراف التي إتباعها الأمير ،مما أدى إلى فراغ بيت المال ،وأمام هذه المشاكل الإجتماعية ،بحثت العامة عن حل لأزمتها عن طريق التعبد أو العابد ،الّذي مثل دور الوسيط بين العامة وبين الله (لواتي، 2015م، صفحة :491) وهي السياسة التي كان ينشرها الداعي أبا عبد الله الشيعي ، إذ رسم لنفسه سياسة القائد الحكيم الّذي أرسله الله لإقرار مبادئ

العدل وتوطيد دعائمه بين الناس فأظهر حبه للشّعب وعطفه على مطالبه وخاصة طبقة الفقراء والمحرومين (عارف ، 1991م، صفحة ص:219).

إذ كانوا يلجؤون للعابد ليس فقط للتغير وإنما في أبسط أمورهم ، كان أيضا زمن الغلاء والقحط ،فقد جاء قوم من العامة إلى شقران بن علي الفرص ورجوه قائلين "يا أبا علي أدع الله يسقينا فقد ترى ما الناس فيه من الجهد والغلاء "وفي رواية أخرى أن المطر أبطأ على الناس، والزرع في الإكمال، فالتجأ الناس إلى الفقيه الصالح (لواتي، 2015م، صفحة :388) وبالتالي ذهنية العامة الآملة كثيرا في دعاء العابد وشفائه من الأمراض وإزاحة ظلم الأمراء وجورهم ستتقبل دون شك أي فكرة تعدهم بالخلاص وتتشبث بها .

وما يميزهم أيضا– العامة – كونهم أكثرا تحررا من القيم الدينية التي يرونها قيودا ،وشابت مفاهيم وعقائدهم كثير من الخرافات والأوهام (المسعودي، 2005م، صفحة :44) حتى أن أدائهم لشعائرهم وفروضهم الدينية ربطوها بواقعهم المعاش، كأهل السوق فإن نفقت سوقهم أخروا الصلاة وإن كسدت عجلوها (لواتي، 2015م، صفحة :465) وعليه بإمكاننا القول أن من أسباب نجاح دعوة الفاطميين زيادة على الضعف الّذي دب في الإمارة الأغلبية ،النشاط المكثّف للدعاة، الّذي نتج عنه كسب ولاء القبائل ، إذّ كانت لهم فلسفة خاصة في الدعوة ، متمثلة في الدعوة لإمام مستور، يثيرون به حماسة أشياعهم حتى يظهر ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (حسن، 1958م، صفحة :332).

إذن نستشف مما ذكر أن الحالة العامة لبلاد المغرب الإسلامي وتحديدا في المنطقة التي تمت بها الدعوة للإمام المهدي ، كانت تعيش تذمرا شعبيا ناقما على السلطة السياسية ،غدته أحيانا الأزمات الإجتماعية كالقحط والمجاعة ، التي رأت فيها العامة إنصراف الحكام عن تلبية حاجيات المجتمع في حين ينعمون هم بالرخاء ،وبالتالي تقبل الدعوة الآتية كونها السبيل للخلاص مما هم عليه ، خاصة إذ ربطنا ذهنيتهم البسيطة في التفكير وطبيعتهم التحررية المنقادة لكل جديد ، دون إغفال دور الدعاة في تهيئة العقول للمهدي القادم من آل البيت ،وأهل المغرب معروفون بحبهم للعترة النبوية وخاصة علي بن أبي طالب وخير دليل على ذلك نشأت العديد من الإمارات العلوية ببلاد المغرب الإسلامي قبل الدعوة المهدوية الإسماعيلية .

ثالثا: الأدب الشعبي وترقب ظهور دولة المهدي:

بعد المرحلة الدعوية للإمام المنّتظر ،كان لابد من ظهور بوادر لها على المستوى الشّعبي وأن تثّمر هذه الدعوة وتنّتشر لامحالة ، وهو ما حدث فعلا فقد ظهرت على المستوى الأدب الشّعبي من شعر وروايات وأدب حدثان وجدنا به أن إرهاصات الدعوة عرفت موطأ قدم لدى ذهنية الناس وإنّتظرت العامة تحقيق الأمر ،نوجز ذلك فيما يلي :

1_ **الشعر:**

مما تجدر الإشارة إليه أنه لم تصلنا من هذا الأدب إلا القليل وذلك لأن الكتابات الموجهة للعامة لا تجد جدوى ولا تلقى أهمية وتبقى مهمشة (حليمة و عبد العزيز ، دون سنة ، صفحة :03) غير أن بعض البحوث أفادتنا حين تناولت أشعار بعض القبائل الإفريقية والتي مثلت فّن القول بها ،واستمرارية البدائية ،فالشعر بالنسبة لهم نداء سحري يصوغ المطالب الجماعية ،تلفظ في صيغة الأمر والشاعر يتحكم في الزمن ويتحدث عن المستقبل (مبروك ، 1990م، صفحة 35) نستشف من هذا أن الشعر كان وسيلة للمخاطبة واعتبر الشاعر بمثابة المتنبئ بما سيحدث ، فكلمة ناشد في العربية القديمة تعني المتنبئ الذي يدل على مكان الأشياء المفقودة وهي تقريبا مرادف لكلمة العراف (دوطي ، دون سنة، صفحة ص:82) .

وبالنسبة لموضوع المهدي المنّتظر الفاطمي وأمر دولته ، فقد وردت أخبار عن ظهوره دولة المهدي قبل تأسيس الخّلافة الفاطمية ، فقد كان لها نصيب من القول ،نستدل على ذلك من خلال ما تم تداوله عن قيام دولته ،حيث ظهرت شخّصية أبو اليسر الّذي أقر بأن الروّاة كانوا ينّشدون بيتا شّعريا يحدد سنة 290هـ كسنة لظهور دولة المهدي (لقبال، 1979م، صفحة :218)

نجد أيضا من الشعراء محمد بن رمضان(أنظر التعليق رقم 25) الّذي أورد شّعرا قال فيه :

فهذا أوان الحق قد حان حينه ودولة أهل البغي آن زوالها

كأن شمس الأرض قد طلعت بنا من المغرب مقرونا إلينا هلالها

فيملأ الأرض بعدله بما مضى منها سهلها وجبله (القرشي ، 1985م، صفحة 55)

وكقراءة لهاته الأبيات نستشف ، قروب ظهور دولة المهدي في صيغة التشبيه ،كأن الشّمس قد طلعت ،ويحدد قيام دولته بالمغرب ، مهمته إرساء العدل ، مبشرين بزوال حكم بني الأغّلب ، بعبارة آل زوالها مهمته ملأ الأرض عدلا على امتدادها.

إضافة إلى رجل من قرية الخربتين (ينظر التعليق رقم:26) حيث قال :

ولاة بني العباس عشرون واليا تدين لهم بالرغم أرض المغارب
وفي الست وتسعين تهبط راية من المغرب في جمع كثيف المواكب
يمرق أرض البربرية جمعهم بخيل كأمثال القطا المتسارب
وتطلع شمس الله من غرب أرضه فلا توبة ترجى هناك لتائب
ويظهر من أبناء فاطمة أمرؤ تقي العرض جمر المواهب
فيملأ الأرض عدلا ورحمة لأيام صدق طيبات المكاسب (النعمان ، 2005م، صفحة 47،49)

في هاته الأبيات أيضا إشارات عن قيام دولة المهدي وزوال الحكم الأغلبي ،محددين سنة ستة وتسعين كمعلم لذلك بهبوط راياتهم ،وزوال حكمهم ،والمهدي هنا من أبناء فاطمة من صفاته التقوى ،جسدته عبارة من أبناء فاطمة أمرؤ، ودوره إحلال العدل والرحمة ، تكون فيها أيام الناس كثيرة الخيرات والمكاسب.

ويقول ابن عقب(ينظر التعليق رقم27) يقول:

قد قلت لما طار عني الكرى حتى متى ياليل لا تصبح
عذبني الوجد وفقد الكرى كلاهما أقّسم ألا يبرح
وكيف لا يحزن من لا يرى بأنه لا يبلغ لا مسطح
دهرا يرى فيه إمام الهدى بالله للمغرب سيفتح
ينجوا من الأهوال سكانها والأرض منها كلها تفلح (محمد ، 1979م، صفحة :34)

تعطينا هذه الأبيات تشوق الشاعر لرؤية دولة المهدي حتى أنه لم يعد ينام ،في عبارة طار عني الكرى ،وعذبني الوجد ،وعبر عن أسفه وحزنه إذّ لم يشهد قيام دولة المهدي ورؤيته ببلاد المغرب ،وما ينّتظر سكانها من أيام الخير ونجاتهم من الظّلم .

وأورد القاضي النعمان أيضا مجموعة من الأبيات واصفا بها قيام دولة المهدي :

في الست والتسعين يأتيك العجب بعد كمال المائتين من رجب

من جيجل ينقض جيش ذو لجب أمضى من الجمر إذ الجمر التهب

وهي إشارات واضحة إلى سنة ستة وتسعين التي هي سنة قيام دولة العبيدين الشيعية ، وأن مظهر أمرها وسندها جيش من البربر، وتحديدا جيجل بقبيلة كتامة وهي نفسها القبيلة التي عول عليها التنظيم الدعوي كقوة عسكرية (النعمان ، 2005م، صفحة :47) كما سبق وأشرنا سابقا .

هذه الأبيات تلخص لنا أن هناك من آمن مستبشرا بقيام دولة المهدي المنتظر وقرب دولته ورجائه ، ومن ناحية أخرى أن الشّعر كان بمثابة وسيلة جماهرية تسهل وصول المعلومة للمتلقي ولأكبر شريحة ممكنة ، وهو بمثابة عامل نجاح خاصة وأن الشاعر وأسلوبه التلقائي على ما يحتويه من بلاغة وقوة تأثير في السامع ،وقد يكون هؤلاء الشعراء أيضا من المتشيعين الأوائل الذين تشبعوا بالفكر المهدوي ،فالأمر يحتاج هنا للضبط أكثر ، وأيضا تعطينا هاته الأبيات عن إمكانية اشتغال الشعراء بالعرافة في وسط مجتمع عرف الظاهرة السحرية خاصة شمال إفريقية .

2_القصص الشعبي:

تنّجم القصة من جملة الظواهر المشكلة من نسيج الأخبار، ولها من الخصائص ما تستميل النّظر وتحفز التأويل، تجمع بين الإفادة والإمتناع وغيرها من الخصائص المشتركة للخطاب النثري القديم (محمد ، 1979م، صفحة :25) وقد عرف عن العامة الإستماع إلى القصا صيين ،وهو ما أشار إليه المسعودي "مستمعين إلى قاص كاذب ولا يبالون أن يلحقوا البار بالفاجر والمؤمن بالكافر، فلم يستضيئوا بنور العلم وأجمع الناس بتسميتهم غوغاء" (المسعودي، 2005م، صفحة :35) من خلال هذه العلاقة بين القصة وما تحتويه من خصائص ،وبين العنصر المتلقي لها سنحاول إعطاء لمحة عن القصص التي شاعت عن قيام دولة المهدي وتداولتها العامة ، وتأثرت بها وتقبلتها ، وربما يكمن مرد ذلّك أن البربر لم تكن لهم معرفة بالإسلام ،وغلاظ جبليين لا يفقهون شيئا من المجادلات المذهبية وبعيدين عن التمحيص والتدقيق (الدشراوي ، 1994م، صفحة :89)وتفسير ذلك مرده إلى طبيعة بلادهم التي فرضت عليهم العزلة والبعد عن الحواضر الكبرى التي كانت تنتشّر فيها مثل هكذا أمور ، مما أدى إلى بقاء الإسلام سطحيا في المغرب إلى بداية القرن الثّاني للهجرة (لواتي، 2015م، صفحة :53) غير أن هذا لا يلغي وجود للشعائر الإسلامية وأدائها

وبالعودة إلى فكرة المهدي المنتظر وقيام دولته ، نجد من بين القصص التي رويت عن قيام دولة المهدي ،قصة لابن الأحوص المكفوف ،كان متعبدا بسوسة ،وهو الّذي أملى رسالة على كاتب قام بتدوينها ، ثم وجهها إلى إبراهيم ابن أحمد الأغلبي ، جاء في مضمونها :"يفاجر يا خائن قد حدث عن شرائع الإسلام وعن قريب تعاين مقعدك في جهنهم" (المراكشي إ.، 1980م، صفحة :155،175)وتعود حيثيات القصة إلى جور إبراهيم ابن أحمد (261هـ_289هـ) الّذي بالغ في قتل العامة ، فإذ تمعنا في القصة وصاحبها المكفوف المتعبد ،والذي له مكانة عند العامة كما أسلفنا الذكر ، يخاطب الأمير الأغلبي وينبه بقروب أجله ، فالعامة ستتشبث به وبأقواله وستنتشر أخبار هاته القصة لا محال .

واستمرت القصص بظهور دولة المهدي وشاعة في بلاد المغرب الإسلامي ، وذلك من خلال ما روي عن عبد الرحمان بن بكار ،ويظهر أنه مغربي من أهل القرن 2هـ والّذي قصد الحج، إذّ به في حلقات الدرس بالمسجد ،التقى موسى بن جعّفر فقال :" يا ابن رسول الله إني رجل من المغرب من شيعتكم ومن يدين بولايتكم ،فأردت السؤال عن ما روي لهم حول المهدي (القرشي ، 1985م، صفحة :47) ولعله من الشيعة الموسوية (ينظر تعليق رقم 28) وهو يعطينا أيضا دليل آخر إن صح إنتمائه أن للموسوية الشيعية كان لها أيضا دعاة ،يروجون لها ، مما شكل أيضا دعامة للمهدوية الإسماعيلية في جلب المناصرين في قيام دولة المهدي.

وفي بلاد كتامة أيضا كانت رائجة مثل هاته القصص إستنادا على ما قاله أحد الكتامين، مخاطبا أبا عبد الله الشيعي حين نزل موطنهم ، والمدعو فيلق ،إذ خاطبه قائلا : كان رجل من كتامة كاهنا يقول إنما ترون الحرب إذ جاءكم الرجل الشرقي صاحب البغّلة الشهباء ، فلما رأيتك تذكرت قوله " (المراكشي ا.، 1980م، صفحة ص:126) ولعلها إشارة إلى الحروب التي ستخوضها قبائل كتامة البرّبرية في سبيل قيام دولة المهدي ، كما روج لها التنظيم الدعوي ببلاد المغرب الإسلامي، إذّ شكلت القبائل الكتامية حقيقة عصب القوة العسكرية ، وإليها يكمن الفضل في ظهور دولة المهدي الفاطمي .

والظاهر أن الرواية والقصص التي إنّتشرت بظّهور دولة المهدي، إستمرت إلى غاية المغرب الأقصى ،حيث ورد في سّيرة الحاجب جعّفر إشارة إلى ذّلك، حين تطرق لمسّير عبيد الله المهدي وابنه القائم نحو سجلماسة ،إذّ نزلا بستان وبه عين هامدة غار ماؤها ،فاغّتسل ببعض مائها ووضع رجليه فيه ،وما إنّ فعل حتى صاح أحد أبناء المنطقة ، قائلا :لابد أنك المهدي ؟فقد رويت عن آبائي وأجدادي أنها لا تخرج حتى

يدخل المهدي هذا البستان وينّزل رجليه فيها هو وولده، وقد رأيت ماكنت أرويه عنهم اليوم عينا (النيسابوري، 1936م، صفحة :120) .

ولا شّك أيضا أن الروايات عن قيام دولة المهدي ،كان من إيمان الناس البسطاء في بلاد المغرب المتشّبعين بالإسلام ،وبكل ما يتعلق برسول الله فيصدقون كل ما يقال على لسانه صلى الله عليه وسلم ،فقد إنتشرت بعض الأحاديث المنسوبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لإضفاء الشرعية على حكرتهم الثورية أقرتها وأوردتها الكتابات الرسمية المتمثلة في القاضي النعمان الذي سيصبح فيما بعد المنظّر للمذّهب الشّيعي الإسماعيلي،، راويا حديثا عن جعّفر بن علي صلوات الله عليهم أنهم ذكر المهدي عليه السلام فقال :" تطلع الرايات السود وأومي بيده إلى المشرق وتطلع رايات المهدي من هاهنا وأومي بيده نحو المغرب وكان ذلك في أيام بني أمية قبل بني العباس وروي أيضا من" أنه ورد في الأحاديث "لابد من قائم من ولد فاطمة يقوم بالمغرب ، فيكسر شوكة المبتدعين ويظل الظالمين ، وكذلك قام المهدي وهو من فاطمة ولما جاءت به الروايات من هذا" (أبو حنيفة ، 1431هـ، صفحة :364)وهو من الأساليب التي اعتمدها الدعاة للتأثير في الجماهير الشعبية واستغلال حماسهم ، وإيهامهم بشرعية الدعوة وهم من تعلقوا بالإسلام على بساطتهم .

3_ ماورد في حدثان عن قيام دولة المهدي :

من خواص النفس البشرية التشوف إلى عواقب الأمور ومعرفة مدد الدول وتفاوتها ، بغية معرفة مدة بقاء الدولة فيها وعدد ملوكها والتعرض لأسمائها، ويسمى ذلك حدثان (إبن خلدون ، المقدمة ، صفحة ص:762)وقد اعتمدتها العرب مستندين إلى الكهان للمعرفة ما سيكون عليه أمر دولهم في المستقبل (إبن خلدون ، المقدمة ، صفحة ص:428) إذ عرف هذا العلم زمن العباسيين وخصصت له كتب في حدثان ، تولاها كبار المنجمون ،من بينهم الكندي (ينظر التعليق رقم 29) مستندين فيه على أحكام النّجوم (إبن خلدون ، المقدمة ، صفحة :777) وربطها بما سيكون عليه الأمر مستقبلا .

شاع هذا العلم إذن في المشرق الإسلامي إلى أن بلغ مقام المهنة ، بامتهان فئة منهم لكسب أقواتهم، مثل ما حدث مع شخصية الدنيا لي (أنظر التعليق رقم30) واعتبار المغرب الإسلامي أحيانا امتدادا للمشرق الإسلامي ،نجد هذا العلم ظهر بها وشاع بين الناس ،فقد شهدت الدولة الأغلبية ذلك،

حيث نجد رجل تونسي مخاطبا إبراهيم ابن أحمد الأغلبي صاحب إفريقية بأن يخبره ما عنده في أمر دولتهم فقال لهم:

أقول وقد أسلمت القريض لأهله وعشت زمانا وهو خير مكاسب
أمن بعد تسعين ، سنيين أعده وأربعة من بعد ذلك رواتب
وحدث كتاب قد تقادم عهده رواية أشياخ كرام المناسب
رواية وهب عن سطيح ودنيال مشايخ علم صادق غير كاذب (محمد ، 1979م، صفحة ص:33)

بتحليل هذه الأبيات نجد إشارة إلى زوال ملك بني الأغلب في عبارة بعد تسعين سنين أعدها وهو يستند إلى ما يقوله إلى كتاب تقادم عهده وفق رواية أشياخ كرام يدل على كبر وعلو قدرهم ، يصدقون لا يكذبون ، ولعل المقصود بالكتاب هنا الّذي استندوا إليه في حدثان الدول كتاب الجفّر زاعمين أن فيه ذلك عن طريق الآثار والنّجوم(أنظر التعليق رقم 31) ولا غرابة أن نجد هذه الظاهرة والتنبؤات بإفريقية فهي ظاهرة تنّتشر بين العامة والأغمار باعتبارها من القاسية من ممالك وأطراف العمران (إبن خلدون ، المقدمة ، صفحة ص:759) حسب تعبير ابن خلدون .

وامتدت هذه التنبؤات في الإستمرار إلى غاية إيكجان بأرض كتامة ،وكان لها دور أساسيا في نشرها وتنظيمها وهذه التنبؤات تعود فحواها إلى عهد دانيال وقد حفظتها الذاكرة في صورة شعرية ، دون إغفال أن المنطقة عرفت الكهانة وانتشرت بها فلا غرابة من وجود هكذا إيمان بها من طرف الناس، جاء في إحداها :

رواية وهب عن سطيح ودنيال مشايخ علم صادق غير كاذب (الطالبي ، 2014م، صفحة :724)

ووهب المذكور هنا هو وهب بن منبه المنسوبة إليه أساطير عديدة ، فاشتغل بالكهانة ، فراجت هذه الأفكار بإفريقية وتكاثرت على العامة المغلوبة الخاضعة (الطالبي ، 2014م) ومما ساعدها للولوج إلى ذهنية العامة أن هؤلاء المنجمين كانوا كثيري العدد، فتواجدوا على مستوى الأسواق والحارات وحتى داخل البلاط حيث أن المنجمين والسحرة كانوا البديل والملاذ التي تعود له الطبقة العامة التي تعيش التهميش وتشكل السواد الأعظم من الرعية وبالتالي لم تكن هناك صعوبة في تغلغل أفكار المهدي المنّتظر لدى العامة لأنها دوما ما تتعلق بالفقيه العابد (لواتي، 2015م، صفحة ص:131) ويظّهر الإيمان القوي بهذه الرواية

ووقوعها ،فقد جاءت على لسان أكبر الكهنة فهم مشايخ في المهنة ،وهم لا يكذبون جاءت في عبارة علم صادق غير كاذب وعليه سينّتظرون قيام دولة المهدي التي ذكرها سطيح ودنيال.

وقد لا يقتصر شيوعها على دور المنجمين والكهان فقط أي فكرة المهدي، إذ أخذنا بعين الإعتبار أن منطقة الزاب بتونس تذكر أحيانا كمجال لظهور دولة المهدي (حليمة و عبد العزيز ، دون سنة ، صفحة ص:03) زيادة على أن هذه المعتقدات في قيام دولة المهدي أخذت من الكتب المقدسة ، وما تعلق بها من قيام الساعة وأشراطها وخروج المهدي ، جعلت الناس التي لا تؤمن بالتنّجيم أو الكهانة ،تؤمن بالنصوص الدينية على بساطة تفكيرها ، لتنساق لهذه الدعوة المبشرة بقيام دولة المهدي وقرب قيام دولته العادلة ،وانتظار الأمل بصلاح الحال .

رابعا : الأدب الشعبي وانعكاسه على قيام دولة المهدي المنتظر:

رأينا فيما سبق الأدب الشعبي وما احتواه من علامات دالة على ظهور المهدي ،آمنت العامة بوجوده وتمنت قرب ظهور مخلصها ،وذلك لعدة إعتبارات متعلقة بخصوصية العامة فهل نجد نفس الأمر على مستوى السلطة الحاكمة ؟

1_ على مستوى العامة والسلطة الحاكمة :

شكل الميل بالقبول الأسطورة والقصة الشّعبية قبولا منذ القديم (شوينكا، 2016م، صفحة :65)خاصة وأن العامة دوما لها عقول بسيطة ،وبالتالي تعلقهم بهذه القصائد والتنبؤات تشفي غيظهم (لقبال، 1979م، صفحة :299) زمن المجاعات والأوبئة التي ظهرت بها على فترات متلاحقة لازمها غلاء وجباية وظلم فتعلقت قلوب العامة بزعيم يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا (لواتي، 2015م، صفحة :131)فلرفق بالضعفاء شكلا سبيل للإتصال بهم في الحاضر، إذّ شكلت إيديولوجية المحرومين التي تجعلهم يتمسكون بالأمل ويبشّرهم بالفرج (الجابري م.، 2000م، صفحة :283)إذّن هاهنا نستطيع القول بأن المهدوية مثلت إيديولوجية المساكين، ومما ساهم في شيوعها هو ورودها في صورة شّعرية إذ في تلك العصور لم تعرف الصحافة، وبالتالي كانت أنجح طريقة لأصحاب المطالب السياسية والإجتماعية، فراجت الأفكار و تكاثرت الرؤى والدوام الّذي عرفته العامة المغلوبة الخاضعة (الطالبي ، 2014م، صفحة :725) فاشعر كالسحر يؤثر على السلوك الإنساني وأيضا في الأثر الذي يمارسه الخطاب الشفهي المنغّم والّذي يجعل من البيان سحرا (مبروك ، 1990م، صفحة :69)زيادة على إنّتشار الفكرة على مستوى العامة ، إنّتشرت

أخبار قيام دولة المهدي على مستوى البلاط الأغلبي، وتجسد ذلك من خلال خوف إبراهيم بن أحمد أحد الأمراء الأغالبة، فكان يتحاشى ذكر الداعي _ عبيد الله الشيعي المكلف بالدعوة بالمغرب في الفترة محل الدراسة _ في المجالس ، غير أنه كان يردد أمام خواصه قوله «والله لو دخل على هذه المدينة من باب لخرجت بين يديه من باب آخر والله كأنني أنظر إلى أكسية أصحابه منشورة على شرفات قصري" (لقبال، 1979م، صفحة :227)، وهو قول صريح من الأمير الأغلبي وتسليمه بالواقع المحتم بزوال دولته ، على يد أبو عبد الله الشيعي وهو يدعوا لإمامه المنتظر ،الفكرة التي سيسقط بها الأنظمة السياسية القائمة .

وقد نبه زيادة الله الأغلبي(ينظر تعليق رقم 32) ، لخطر دعاة الإسماعيلية منذ بداية توغلهم في بلاد المغرب إذّ نادى في الناس قائلا": وقد انتهى معشر المسلمين عن هذا الكافر الصنّعاني المبدل لدين الله ، المحرف لكتابه ، المستحيل للدماء بغير حقها المبيح للفروج ، إنّه أدى إلى كتامة برابرة أغتام وجهال طغام فاستزلهم واسّتهواهم واستّغواهم ، فدعاهم إلى تبديل دين الله فأجابوه ،فأطاعوه لجهلهم بالدين والسّنة " (إلهي الظهير ، 1987م، صفحة ص:120) .

وعليه نستطيع القول أن تداول أخبار قيام دولة المهدي على المستوى الشّعبي ،حمس العامة لترقب قيام دولته ، لتتضارب الآراء على مستوى هرم السلطة بين رافض للفكرة ومسلم لها ،فبينما ساهمت الرواية والأشّعار في ترقب العامة ، كانت كتب الحدثان باحتوائها أمد الدولة متناولة على مستوى السلطة ،التي كانت تلجأ لها لمعرفة مدة البقاء في الحكم وما ستكون عليه في الدولة في المستقبل .

2_ إنتقال الروايات عن قيام دولة المهدي المنتظر :

لم تبقى الروايات والأشعار المتعلقة بظهور دولة المهدي المنّتظر الذي سيخّلص الناس من الظّلم والجور ويملأ الأرض عدلا ، حبيسة منطقة معينة وإنما انّتشرت وتخطت الحدود ،بواسطة مجموعة من العوامل ،ومن بينها القوافل التجارية، التي كانت تنتقل من إقليم الجريد إلى باغية على سفوح جبال أوراس عن طريق مر ماجنة (لقبال، 1979م، صفحة :217،218) وبالتالي تأثر التجار بهذه الأفكار ونقلوها ،فعادة ما تنتقل التيارات والمذاهب والعادات والقصص والروايات وحتى اللهجات مع الوفود التجارية (لقبال، 1979م، صفحة :218) دون إغفال دور الدعاة الفاطميين أبو سفيان والحلواني الّذي توغل في أرض البربر حتى أصبح على هامش أرض كتامة (لقبال، 1979م، صفحة :220).

وانتقلت أيضا عن طريق الأشخاص ، فنجد محمد بن ورّصند البلجي الّذي خرج من نقّطة قاصدا جبال الأطلس في المغرب الأقصى، يدعوا إلى مذهب الشيعة ،وردت إشارة من ابن حوقل أن ابن ورّصند كان موسويا والذي تعود عقيدتهم بعدم تقبل موت موسى الكاظم وتصديق ظهوره في صورة المهدي المنّتظر (إبن خلدون ، المقدمة، 2014م، صفحة :651)

دون إغفال دور المنجمين والعرافين في بثها وهم من كانوا يجوبون الأسواق والحرات ، وحتى على مستوى البلاط ، وعليه شكلت كلها عوامل مكنت للفكرة من الانتشار و التغلغل ،وسط مجتمع ناقم يعاني منتظرا المخلص ، الذي اجاد لعب دوره دعاة الإسماعيلية ممهدين بذلك لقيام الدولة الفاطمية .

خاتمة:

مثلت بلاد المغرب الإسلامي خلال القرون الهجرية الأولى ملاذا وملجأ لأصحاب الحركات السياسية ، المناوئة للسلطة العباسية في المشرق ،لعدة اعتبارات ، منها ما هو متعلق بالجغرافيا كالبعد عن مركز الخلافة أو اجتماعية كطبيعة عنصرها البشّري الميال إلى الاستقلالية ، إذّ شهد المشرق الإسلامي اضطرابا سياسيا ، وظهرت العديد من الإتجاهات والتيارات ،تميز كل تيار عن الآخر في إتخاذه أسلوب معين للمعارضة ، للمطالبة بالأحقية في تولي خلافة المسلمين ،خاصة فترة الدولة العباسية، فبرزت في هذه المرحلة الإنشقاقات وتجلت للعيان وابتكر كل منها أسلوب في الدفاع والمواجهة ، غير أن هذه الطروح السياسية فشلت على التوالي ، وكان لابد من ابتكار أسلوب أمثل يكون أكثر فاعلية ، فظهرت فكرة المهدي المنتظر ، كطرح بديل تبنته فرقة الإسماعيلية ذات النحلة الشّيعية ، وسعت لنشرها في أقطار العالم ، وفق جهاز دعوي أقل ما يقال عنه أنه منظّم .

والمهدي المنتظر الفاطمي في الأدب الشعبي ببلاد المغرب قبل تأسيس الدولة الفاطمية ، شكل لامحالة عنصرا مساعدا للدعوة ، إذ إنتشرت أخبار المهدي ودولته في القصائد الشّعرية والروايات وكتب الحدثان وانتشارها بين السكان في الأسواق والحارات وعلى مستوى السلطة الأغلبية ، مهد الطريق لامحالة لتكوين قاعدة جماهرية ستستغل فيما بعد لتدعيم أركان الدولة وتلقى الدعوة للمهدي الفاطمي قابلية للإيمان بها دون مجابهة عسكرية وذلك للسيطرة بواسطتها على عقول العامة.

وعليه لا يمكنا الإستهانة بموارد الأدب الشعبي ومحاوره في التأريخ للحادثة التاريخية، إذ يمكن استثمارها كعنصر تكميلي لتغطية النقص في الدراسات التاريخية وذلك لبعدها عن التوجه الرسمي.

وبعد هذه الدراسة حول فكرة المهدي في بلاد المغرب الإسلامي ووجودها على المستوى الشعبي سيكون دون محالة لها رواسب في واقعنا الحالي، لتفتح إشكالية أخرى حول إمكانية البحث عنها مستقبلا.

التعليقات:

1_ بني العباس :هي سلالة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، استطاعوا تكوين دولة لهم وكان اول خلفائهم أبي العباس السفاح وسقطت دولتهم على يد المغول.

2_ **الشيعة:** هم الذين شايعوا عليا بن أبي طالب رضي الله عنه ونادوا بإمامته وقالوا بأن حق علي وأهل بيته قائم بالوصية من النبي صلى الله عليه وسلم والإمامة عندهم حق وراثي لعلي وأهل بيته بالنص والتعيين وهي ركن أساسي في الدين وليست مصلحة من المصالح العامة التي تفوض الأئمة للنظر فيها ومعنى هذا أن الإمامة عندهم تعبير عن السلطة الدينية التي تحتل مقاما ساميا ،أما الخلافة فهي ما يعبر عن السلطة الدنيوية ويعتبرون أن النبي صلى الله عليه وسلم عين علي رضي الله عنه بنصوص ثابتة يتناقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم ، ينظر: الشهرستاني ، الملل والنحل ، ،تح:أمير علي مهنا وعلي حسين ، ط3،دار المعرفة ، بيروت ، ج1، 1993م،ص: 169.

3_ **علي ابن أبي طالب** : ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد السباقين إلى الإسلام ،ورابع الخلفاء الراشدين ، جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، دار الجيل ،بيروت ، 1997م.ص:197.

4_ **الإمام جعفر** :هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد بالمدينة سنة 80هـ،وهو سادس الأئمة بالنسبة للشيعة توفي سنة 145هـ ، ينظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ج1، ص: 328،327.

5_ **الإمامة الإثناعشرية** :هم فرقة شيعية قائلة ب اثنا اعشر إمام نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ،ينظر : صلاح ابو السعود ،الشيعة النشأة السياسية والعقيدة الدينية ،طبعة الثانية ، مكتبة النافذة ص:202

6_ **الفهري:** افترض الدشراوي أنه إبراهيم بن هرمة القرشي ت 176هـ ، الشاعر المدني الذي انقطع إلى الطالبين ومدحهم ، ولما كان راوي هذا الشعر في الافتتاح هو أبو القاسم ابن حوشب إذ قال ،فذكرت قول

الفهري ، ينظر: محمد اليعلاوي : شعراء إفريقيون ،حوليات الجامعة التونسية ، مجلة للبحث العلمي تصدرها الجامعة التونسية ، عدد 17 ، 1979، ص: 30

7_ **ابن حوشب** هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن زادان الكوفي والحمادي اليماني يسميه المنصور الحسن بن زادان ويعرفه ابن الأثير أنه رستم بن الحسين بن حوشب بن دندان ، ينظر : سيف الدين القصير ،ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن ، دار الينابيع ،دمشق ، دون سنة ،ص:32 .

8 **الإمامة الإثناعشرية** :هم فرقة شيعية قائلة ب اثنا اعشر إمام نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ، هم فرقة شيعية قائلة ب اثنا اعشر إمام نص عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ،ينظر : صلاح ابو السعود ،المرجع السابق ، ص:202.

9_ **أبو الخطاب** :أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأجدع ،أو محمد بن أبي ثور وكذا يكنى بأبي ضبيان وبأبي إسماعيل له صلة وثيقة بنشأة الإسماعيلية وتكوينها وإيجاد عقائدها ينظر : إحسان الهي الظهير ، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ترجمان السنة لاهور ، بكستان ، 1987م ، ص: 46.

10_ **ميمون القداح**: هو أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان وهو من أصحاب أبي الخطاب هذا شاكر نشأ له ابن يقال له عبد الله القداح ، علمه الحيل وأطلعه على أسرار النحلة وكانوا يظهرون التشيع والبكاء على أهل البيت ويزيدون أحاديث يخدعون بها ضعفاء العقول وكان من رجال الشيعة الكبار في ذات الوقت رجل يقال له دندان (هو محمد بن الحسين بن جهار بختار نواحي الكرخ ،بأصفهان) تتلمذ على يده عبد الله بن ميمون القداح ،ينظر الإسماعيلية تاريخ وعقائد ، إحسان الهي الظهير ، المرجع السابق، ص: 92.

11_ **اليمن**: هي قطعة من جزيرة العرب يحدها من المغرب بحر القلزم من الجنوب بحر الهند ، من الشمال بحر فارس من الشرق مكة ، ينظر: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي صبح الأعشى، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ج5، 1915م، ص:06.

12_ **الدعوة**: الدعوة في اللغة دعا ،دعاء ،فلان ،داعي وداعية قوم يدعوا إلى بيعتهم وإقناعهم به إقناعا ، تطمأنت إليه عقولهم وترضى عنه قلوبهم وتنشرح له صدورهم ، ويخالط وجدانهم ويرى في مشاعرهم ويمتزج بكيانهم ويصبح إيمانا راسخا ، كي يتهيأ لهذا الإيمان أن يكون محركا لكل ما يصدر عنهم من فكر وعاطفة

وسلوك به يؤمنون وبتوجيهه يعملون وفي سبيله يبذلون ومن أجله يستشهدون ينظر: بركة محمد عبد الغني ، أسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومنهاجا ،دار غريب للطباعة ، القاهرة ، ،1983م ، ص: 14

13_ الحلواني : هو عبد الله بن علي لن أحمد المشهور بالحلواني ، تقدم حتى وصل سوفجمار ، فنزل في موضع يقال له الناظور وكان في العبادة والفضل علما في موضعه فاشتهر به ذكره وظرب الناس من القبائل اليه ،ينظر ، أبو حنيفية النعمان ،افتتاح الدعوة ،بيروت ، مؤسسة الأعلمي، سنة:2005م. ، ص: 24.

14_ **أبو سفيان** :الحسن ابن القاسم نزل بموضع تادلا من ارض مرماجة كان اهل تلك المناطق يأتون ويسمعون فضائل أهل البيت النبوي ومنه فمن قبله تشيع أهل مرامجة على يده وأهل الإربس ونفطة ،ينظر: ابوحنيفة النعمان ، افتتاح الدعوة ، المصدر السابق ، ص: 24

15_ **تالة** :في الشمال الغربي من تونس ، تقرب من مدينة الكاف ولا تبعد عن أقرب نقطة للحدود الجزائرية بمسافة كبيرة ، ينظر : موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية القرن 5هـ، الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر ، 1979م،ص:216.

16_ **نفطة**: تقع نفطة في إقليم الجنوب الغربي للبلاد التونسية في مجال واحي سمي خلال العصر الوسيط المبكر بلاد قسطلييه وهي تعريب لكلمة قصور ثم سميت خلال العصر الوسيط المتأخر مع التجاني وابن خلدون (ق 8هـ)ببلاد الجريد أو البلاد الجريد لواحات نخيلية الممتدة وهو الآن إداريا ولايته توزر ، وتقع مدينة نفطة على الحدود الجزائرية التونسية حوالي 35كم ، ينظر: نور الدين النوري ، مدينة نفطة خلال العصر الوسيط ، مجلة الحوار المتوسطي مج:9،عدد:1، مارس :2018م،

17_ **الولاية** : الولاية في الاصطلاح الشيعي تعني أن الإمام الشيعي هو زعيم سياسي وقائد روحي في نفس الوقت تختلف عن الولاية الصوفية في مسألة القيادة التي تعتبر عند الصوفية ممارسة روحية غير محصورة في آل البيت ،ينظر: عابد الجابري ،تكوين العقل العربي ،مركز الدراسات ، بيروت، لبنان ،2000م،ص:345.

18_ **أبو عبد الله الشيعي** :هو أبو عبد الله حسين بن احمد بن زكريا المعروف بالشيعي و هو من أصل صنعاء باليمن كان من الرجال الدهاة الخبيرين بما يصنعون ويفكرون ، وكان ذا عقل ودين وورع وأمانة ونزاهة كان أكثر علمه الباطن ، ونظر في علم الباطن نظرا لم يبالغ فيه . ينظر: القاضي النعمان ،افتتاح الدعوة ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ،2005 ص: 26

19_ **إيكجان** على مسافة حوالي 66 كم شمال مدينة سطيف وعبر العلمة وفي الطريق الذي يؤدي الى جيجل يوجد اهم حصن لكتامة وهو ايكجان الذي يظن انه بقايا حصن تازروت القديم القريظة اليوم، وهي مكان حصين يحده من الجنوب العين الكبيرة ومن الغرب خراطة ومن الشمال تساكنه ومن الشرق فج مزاله ، وتقع بالضبط شرق قرية بني عزيز على بعد حوالي 2 كم ينظر: ، مرمول صالح ، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب الاسلامي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م،ص: 40.

20_ **دار الهجرة** : تسمية تطلقها المصادر الشيعية والمذهبية على القرى أو المدن التي كان يتوقع أن تظهر فيها ومنها الدول والتي أخذت مستقرا لمسؤولي الدعوة في الفترة السرية من الدعوة ، ينظر بوبة مجاني ،من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغاربي ، تقديم وتنسيق ، بوبة مجاني ،دار بهاء ،قسنطينة ، 2007م، ص:147

21_**بني سكتان** : إحدى أقوى القبائل الكتامية التي استقبلت الداعي في بداية أمره القاطنة في مجال بإكجان السابقة الذكر.

22_ تقع **تازروت** في وسط سلسلة جبلية بين أعالي واد الرمل ووادي الرجاس على بعد 10 أيام عن قسنطينة ، تطل على الضواحي فمن الجهة الشمالية يمتد النظر إلى جبال موية وزوارة على مستوى فرجوة وحتى أعالي جبال البابور ومن الجهة الجنوبية يمتد على مدى السهول تلاغمة وسهول زمور ، كما يمكننا منها من رؤية جبال أوراس من بعيد وتتبع المنطقة التي بنيت عليها تازروت حاليا إلى بلدية عين الملوك دائرة تاجنا نت ولاية ميلة ، ينظر، نوال لعرابة،، أثار الدولة الفاطمية في المغرب من خلال المواقع الأثرية ومجموعة متحفي سطيف وقسنطينة(280_362هـ) ،معهد الأثار ، الجزائر ، رسالة ماجستير، 2014.2015.م ص: 46

23_ **الماليخوليا** : أو ما يعرف بجنون الاكتئاب ، وهو مرض عقلي والمصاب به يكون حزينا كئيبا وهذا الداء يكون وراثيا ، أو ناشئا من الأحوال الطارئة كالحزن الشديد ، حيث يشعر المريض بحالة يصير فيها كل شيء يوجد له السرور ثقيلا عليه لا يتحمله ، ينظر: فريد وجدي ،دائرة المعارف القرن العشريين ، ، دار الفكر بيروت، لبنان ،ج8، ص: 424.

24_ **إبراهيم بن أحمد الأغلبي** : هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي من أصحاب أبو مسلم الخرساني دخل المغرب مع ابن الأشعث ،كان فقيها عالما أسس مدينة رقادة ، ينظر: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن الآبار ، الحلة السيراء ،تح: حسين مؤنس ، ط1، الشركة الوطنية ،الجزائر ،ج1963،1م،ص: .179.

25_ **محمد بن رمضان:**محمد بن رمضان يرثي أهله وكان إبراهيم بن الأغلب أوقع بهم وقتل ألف منهم وذكر دنو الفرج بقيام دولة المهدي ، ينظر: عماد الدين القرشي ،عيون الأخبار ،المصدر سابق ، ص: .55

26_**قرية الخربتين:**من نواحي مدينة تونس كان ماهرا في التنجيم وقد أحضر رغم طعنه في السن ما يوضح معالم التطور الذي سيحصل على رأس سنة 296هـ ، يدخل بربر كتامة نصرة لآل البيت والإمام الفاطمي ، ينظر: ابي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي ، إفتاح الدعوة ، المصدر السابق ،ص: 49.

27_: **ابن عقب:** هو يحي بن أبي عقب الليثي ، المذكور في الأغاني ، حيث ذكر ملاحم منسوبة إلى عقب وقال فيها شيء من الصحة ، فلعله كاهن أسطوري ، ، ينظر : محمد اليعلاوي ،شعراء افريقيون ،حوليات الجامعة التونسية ،مجلة للبحث العلمي تصدرها الجامعة التونسية ، عدد 17،سنة 1979، ص: .34

28_الموسوية : الشيعة الموسوية ،هم القائلون بأن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه موسى بن جعفر وأنكروا إمامته عبد الله بن جعفر وكان من ضمن الموسوية عدد كبير من وجوه أصحاب أبيه ، سيف الدين القصير ، المرجع السابق ،ص: 189

29_ **الكندي** : هو منجم الخليفة العباسي الرشيد و المأمون ، يعقوب ابن اسحاق الكندي ، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ،جزء:1،تحقيق :عبد الواحد عبد الوافي ،دار النهضة ، مصر ، 2014م ،ص: 777

30_ الدنيا لي: وراق ذكي عاش أيام المقتدر العباسي يبل الأوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من أسماء أهل الدولة ويحصل منهم على ما يريد ، ينظر: ، ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد عبد الوافي، دار النهضة ،مصر، ج1، 2014م. ،ص: 777.

31_ كتاب الجفر: أصله أن هارون بن سعد العجلي وهو رأس الزيدية ،كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه علم سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص والذي وقع لجعفر الصادق عن طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء وكان مكتوبا عند جعفر في جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلى وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذي كتب عليه ، لان الجفر لغة هو الصغير كان فيه تفسير القرآن غير أنه لا يعتمد على سنده إلى جعفر الصادق ولو صح سنده إلى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند منه أو من رجال قومه وقد صح عنه أنه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون ينظر : ابن خلدون ،المقدمة ،ج2 ، المصدر السابق ، ص: 768.

32_ **زيادة الله بن عبد الله ابن الأغلب** :كانت ولايته في خلافة المقتدر بالله ، استقل بالأمر بعد مقتل أبيه ،وكان زيادة الله سيئ السيرة هل الملك و أحوال الرعية وتغافل عن مصالح البلاد وانعكف عن اللذات وانهمك في الشرب واللهو وفي أيامه قوي أمر عبيد الله الشيعي .ينظر: ابن وردان ، تاريخ مملكة الأغالبة ،تح :محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،1977م ، ص :62

قائمة المصادر:

1_ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ، الطبعة1 ، دار الكتب ،بيروت ،ج7 ،1987م.

2_ أحمد إبراهيم النيسابوري، إستتار الإمام وسيرة الحاجب جعفر ، المجلد 4، جزء 2،المعهد العلمي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1936م.

3_الشهرستاني ، الملل والنحل ، ،مراجعة :علي حسين، أمير علي مهنا ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ،مج1، ،سنة 1993م.

4_ ابن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في أخبار البربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،مج:4، دار الفكر، بيروت ،2000م .

5_ ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، تحقيق: عبد الواحد عبد الوافي، دار النهضة ،مصر، ج1، 2014م.
6_ ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ،ج س كولان ،الطبعة الثانية ، سنة 1980م.
7_ أبو حنيفة النعمان شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، الطبعة 2 ، مؤسسة النشر الجامعي،1431هـ.
8_ أبو حنيفية النعمان ،افتتاح الدعوة ،بيروت ، مؤسسة الأعلمي، سنة:2005م.
9_ المسعودي ، مروج الذهب ،تحقيق :كمال حسين مرغى ، المكتبة العصرية ، بيروت، 2005م.
10_ عماد الدين القرشي ،عيون الأخبار ،تاريخ الخلفاء الفاطميين الخاص بالمغرب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت .
11ا_ لإمام الغزالي ،فضائح الباطنية ، مؤسسة دار الكتاب الثقافية ، دون سنة

المراجع :

12_ إسماعيل سامعي، قضايا تاريخية في تاريخ المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، :2012م.
13_ إحسان إلهي الظهير ،الإسماعيلية تاريخ وعقائد ،لاهور بكستان ، ترجمان السنة ، 1987م.
14_ أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب بيروت ، 1969م
15_ إدمون دوطي ، السحر والدين في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : فريد الزاهي ،منشورات مرسم ، الرباط ، دون سنة .
16_ ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، الطبعة الثالثة ، دار الغرب الإسلامي ، 1987م.
17_ النا صر صديقي ،فكرة المخلص بحث في الفكر المهدوي ،الطبعة الاولى ، جداول ،بيروت لبنان ، 2012 م.
18_ إياد مرسيا ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ،ترجمة :عبد الهادي عباس ،الطبعة 1 ، دار دمشق ،1986م
19_ بوبة مجاني ،الإسماعيليون في بلاد المغرب العربي ، دار رؤية، القاهرة ، 2014م.
20_ بوبة مجاني ،المذهب الإسماعيلي وفلسفته في بلاد المغرب ، منشورات الزمن .دون سنة.
21_ تسهير جولد ،العقيدة والشريعة في الإسلام ، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، 1983م.

22_ حسن إبراهيم حسن ،تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب وسوريا ومصر وبلاد العرب ، الطبعة الثانية ، سنة :1958م.

23_ دلال لواتي عامة القيروان في العهد الأغلبي ، رؤية للنشر ، القاهرة ،2015م.

24_ سيف الدين القصير ،ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن ، دار الينابيع ،دمشق ، دون سنة .

25_ طه أحمد شرف ،حسين إبراهيم حسن ، عبيد الله المهدي ،إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، مكتبة النهضة ،دون سنة.

26_ عارف تامر ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، الدعوة والعقيدة ، جزء 1، 1991م.

27_ فرحات الدشراوي ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، التاريخ السياسي والمؤسساتي ، بيروت :دار الغرب الإسلامي ،سنة :1994م.

28_ فرحات حليمة وعبد العزيز بالفائدة ، أدب الحدثان والمجال المقدس في المغرب ، نموذج ماسة ، القنيطرة ، كلية الآداب ،المغرب ،دون ستة.

29_ فرهاد دفاتري ،الإسماعيليون في العصر الوسيط ،ترجمة : سيف الدين القصير ،دمشق :دار المدى ،سنة:1999م.

30_ لويس برناد ، أصول الإسماعيلية ،أصول الإسماعيلية الفاطمية والقرمطة ،الطبعة الأولى ،دار الحداثة ، 1980م.

31_ محمد بركات البيلي ،التشيع في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 5هـ ، دار النهضة ،بيروت ، ، 1993م.

32محمد الطالبي ،الدولة الأغلبية ، التاريخ السياسي (184هـ،269هـ)،ترجمة المنجي الكعبي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2014م

33_ مصطفى غالب ،تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، الطبعة الثانية ، دار الأندلس ، بيروت ، 1965م.

34_ موسى لقبال ، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية القرن 5هـ، الشركة الوطنية للنشر ،الجزائر ، 1979م.

35_ وول شوينكا ، الأسطورة والأدب في العالم الإفريقي ترجمة :نسيم مجلى ، إيرين مجلى ،الطبعة الأولى ، ،2016م

36_ عابد الجابري ،تكوين العقل العربي ،مركز الدراسات ، بيروت، لبنان ،2000م
37_ عبد المجيد بن حمادة ، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية ، الطبعة ،1،دار العرب ، تونس ، 1986م.

المذكرات :

38_ نشيدة رافعي ، الحياة الفكرية والثقافية في المغرب في العصر الفاطمي ، الجزائر ، سنة 2002.2003م ، اطروحة دكتوراه .
39_ نوال لعرابة ، أثار الدولة الفاطمية في المغرب من خلال المواقع الأثرية ومجموعة متحفي سطيف وقسنطينة(280_362هـ) ، الجزائر ، رسالة ماجستير 2015، معهد الأثار ، سنة 2015.2014م.

المقالات:

40_ مبروك المناعي، صلة الشعر بالسحر، مجلة الحوليات التونسية، عدد 32، سنة 1990م.ص39_78
41_ محمد اليعلاوي ،شعراء إفريقيون ، مجلة الحوليات التونسية ،عدد17،سنة 1979م.ص 25_74
42_ أيمن فؤاد السيد ، تطور الدعوة الإسماعيلية المبكرة حتى قيام الخلافة الفاطمية ،ملتقى القاضي النعمان للدراسات الإفريقية ،المهدية ، تونس، 1944م.
43_ عاشور عبد الفتاح ،عوامل نجاح الدعوة المبكرة للدولة الفاطمية ، ملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية ، المهدية ، تونس ، 1977م